

توظيف الدراسات البيانية في إظهار جوانب من الإعجاز البياني عند عائشة عبد
الرحمن من خلال كتابها "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق"
Employing statement studies in showing aspects of miraculousness
statement of Aisha Abd Al-Rahman through her book "The
Miraculousness statement of the Qur'an and the Issues of Ibn Al-
Azraq"

طالبة دكتوراه ابتسام فارح⁽¹⁾ أ.د/ السعيد بوخالفة

كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة 1

مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر تاريخها، مصادرها، أعلامها

said.boukhalfa@univ-batna.dz ibtissemfarah30@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/01/08 تاريخ القبول: 2021/12/19

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى رصد توظيف الدراسات البيانية في تحديد مواطن الإعجاز البياني في القرآن الكريم، واستجلاء أسرارها؛ ولأجل ذلك، اخترنا نموذجا من دراسات عائشة عبد الرحمن تتناول ذلك التوظيف البياني، من خلال كتابها "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق". وفي الختام تبين لنا أنّ عائشة عبد الرحمن قد وقّفت إلى حدّ ما في إظهار الإعجاز البياني، وذلك من خلال استنادها إلى جوانب الدراسات البيانية اللغوية (الجانب المعجمي، الصوتي، الصرفي، النحوي، البلاغي)، وقد بينت أنه ما من لفظ فيه أو حرف يمكن أن يقوم مقامه غيره، بل ما من حركة أو نبرة لا تأخذ مكانها في البيان الأعلى. **الكلمات المفتاحية:** الدراسات البيانية؛ الإعجاز؛ البيان؛ القرآن الكريم؛ عائشة عبد الرحمن.

Abstract:

The objective of this study monitors the employment of statement studies, in identifying the areas of miraculousness statement in the Holy Qur'an, uncover his secrets, and for that, we chose a model from Aisha Abd Al-Rahman's studies that dealt with that statement employment, through her book "The Miraculousness Statement of the Qur'an and the Issues of Ibn Al-Azraq".

In conclusion, we found that Aisha Abd Al-Rahman had succeeded to some extent in showing miraculousness statement. This is done by drawing on aspects of the linguistic statement studies (lexical, phonemic, morphological, grammatical, rhetorical aspect), she indicated that there is no word or a letter in it that can substitute for another. Rather, there is no motion or tone that does not take its place in the Supreme Statement.

Key words: statement studies; miracles; statement; the Holy Qur'an; Aisha Abd Al-Rahman.

مقدمة:

القرآن الكريم كتاب الأمة عقيدة وشريعة ومنهاجا وسلوكا، كما أنه كتاب العربية الأكبر، ومعجزتها البيانية الخالدة، أعجز أساطين الفصحاء من العرب المشركين، وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، فما كان منهم إلا أن أذعنوا وسلّموا له إقرارا بصدقه، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

فقضية الإعجاز البياني من وجوه الإعجاز واجبة الإجلاء، لأنه ينتظم القرآن كله، فرضت نفسها من أوّل لحظة نزل فيها الوحي، فانبرى العلماء - قديما وحديثا- يصنّفون فيها كتباً قيّمة، هادفين إلى جانب تعميق الصلة بالكتاب العزيز إلى إقناع الخصوم بوقوع هذا الوجه من الإعجاز في القرآن، فدرسوا البيان الأعلى في جوانبه اللغوية والبيانية.

أمّا في العصر الحديث فقد ظهر نوع من القراءات الجديدة للقرآن، اصطاح عليها بالدراسات البيانية، وهي تعتبر فرعاً من فروع الدراسات اللغوية والبلاغية، إذ أنها تسعى إلى وصل علوم العربية بعلوم الإسلام. إضافة إلى أنها امتداد لمسيرة تاريخية للإعجاز البياني، انطلقت مع نزول الوحي على شكل مضامين دون عناوين، ثم تطوّرت في عصر التدوين مع أبي عبيدة معمر بن المثنى (208هـ)، لتتنظم وتنبور مع الزمخشري (538هـ) في تفسيره "الكشاف"، كما يعتبر محمد عبده (1323هـ/1905م) وتلاميذه... وغيرهم، أبرز من أحدث تطوّراً جوهرياً في الدراسات البيانية.

كما تعدّ عائشة عبد الرحمن من السباقين إلى الدراسات البيانية للقرآن الكريم، توظيفا وتفعيلا، تطبيقا للمنهج الاستقرائي الذي أرسى قواعده وأصوله أستاذها وزوجها أمين الخولي صاحب المدرسة البيانية، وتمثّل كتاباتها أجود وأبلغ ما كُتب في بيان هدي القرآن الكريم، وإظهار إعجازه البياني. وعليه يمكن أن نتساءل:

- إلى أيّ مدى وفّقت عائشة عبد الرحمن في توظيف الدراسات البيانية في إظهار جوانب من الإعجاز البياني؟

- ما هي ملامح التجديد في الدرس البياني الرامي إظهار الإعجاز، عند عائشة عبد الرحمن؟
وتكمن أهمية هذه الدراسة في شرح جوانب الدراسات البيانية عند عائشة عبد الرحمن، وإبراز ما تحوي عليه تلك التطبيقات من تجاذبات تجعلها تترابط وتتحدّد لإخراج دلالات النص القرآني والتماس أسرارها، في قوالب بيانية، علمية في تحليلها وتبيان وجهها وحكمتها، من غير تكلف أو تجاسر على التكلم في القرآن الكريم دون عريية.

إن الدراسات السابقة التي عثرنا عليها حول هذا الموضوع، كلّها تناولت موضوع منهج عائشة عبد الرحمن في تفسيرها البياني أو دراساتها القرآنية أو الأدبية، ولم نقف في حدود ما اطلعنا عليه، على واحدة منها عالجت فكرة توظيف الدراسات البيانية في كتابها "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرقي"، لا بالعنوان نفسه، ولا قريبا منه.

تسعى الدراسة إلى تحقيق جملة أهداف من أهمّها:

- الكشف عن تجربة علم من أعلام الدرس البياني المعاصرين، في خدمة الإعجاز القرآني تأصيلا وتطبيقا، مع التعريف بكتاب من أجل مصنفاتها في ذلك.

- بيان الشخصية العلمية المترنّة لعائشة عبد الرحمن في تمحيص ونقد الآراء التأويلية التوجيهية.

- استغلال الدراسات البيانية في تحديد مواطن الإعجاز، عن طريق محاولة تفسير سبب عجز العرب عن الإتيان بمثله أو ببعضه، وقد دخل عليهم من باب ما برعوا فيه.

توظيف الدراسات البيانية في إظهار جوانب من الإعجاز البياني عند عائشة عبد الرحمن

هذا، وقد قسمنا الموضوع بعد المقدمة إلى محورين نظري وتطبيقي؛ جاء المحور النظري كاشفا عن مفاهيم كل من: الدراسات البيانية، الإعجاز البياني، ومعرّفا بعائشة عبد الرحمن، وكتابها "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق"، لننتقل إلى المحور التطبيقي المعلنون بـ "أثر الدراسات البيانية في إظهار الإعجاز البياني"، تحدثنا فيه عن توظيف الدراسات البيانية عند عائشة عبد الرحمن من خلال كتابها في التماس سر الحرف أولاً، في الاهداء إلى سر الكلمة ثانياً، وفي استجلاء سر التعبير ثالثاً، ثم ذيلنا بخاتمة حوت أهم النتائج.

المحور النظري: تعريفات ومفاهيم (الدراسات البيانية، الإعجاز البياني، عائشة عبد الرحمن، وكتابها "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق")

أولاً: مفهوم المركب الإضافي "الدراسات البيانية"

لم نقف - في حدود اطلاعنا - على مفهوم دقيق للدراسات البيانية، وفيما يلي عرض لما أمكننا الوصول إليه: أولاً: ورد على لسان فاضل السامرائي حينما سئل عن التسمية الصحيحة للدراسات البيانية: إعجاز أو تفسير بياني؟ فأجاب بقوله: "هذه الدراسات ليست إعجازاً، فالإعجاز أكبر من ذلك بكثير، إنما هذه دراسات في البيان، يستخلصها أهل اللغة والبلاغة، بالنظر والتدبر في التعبير القرآني، وهو نوع من التفسير"¹، فالدراسات البيانية عنده مرادها للتفسير البياني.

ثانياً: تعريف سعاد بولشفار حيث تعرّفها على أنها: "دراسات لغوية وبلاغية وأدبية، تهتم بكل ما يتعلّق بالقرآن الكريم من جهة الأداة واللفظ والجملة والمعنى والأساليب والتصوير والتعبير والإعجاز. في إطار موضوعاته المتنوعة والمختلفة. أو في إطار الموضوع الواحد... وهذا بحسب المنهج المتّبع، ونتيجة لتطور أداة الفهم ونضجها..."²، ومن خلال التعريف نلاحظ استحضرها لما أشار إليه اليزيد بلعش عند تعريفه بـ "الدراسة البيانية لفاضل السامرائي"، إلى أن الدراسة البيانية تقدمت تقدماً ملحوظاً، وتبلورت أفكارها، حتى غدت فرعاً من فروع الدراسات اللغوية والأدبية والبيانية، وأنجز فيها عدد كبير من الرسائل الجامعية، وأن العلوم العربية هي القاعدة للدراسة البيانية³.

وتتبع سعاد بولشفار تعريفها بقولها: "وتهتمّ الدراسات البيانية للقرآن الكريم بكل مسائل البلاغة... التي تتجمع في النظم القرآني المعجز، وتشمل كل بحث بلاغي يستقصى في آيات الذكر الحكيم، فيبرز صاحبه باستقصائه ما يتجلى له من دقائق وخصائص ومزايا بلاغية..."⁴.

وعليه نخلص أن الدراسات البيانية هي: فرع من فروع الدراسات اللغوية والأدبية والبيانية، تُعنى بالقراءة المتبصرة والتفكير والتدبر في التعبير القرآني، عبر تسخير اللغة بجوانبها: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والبلاغية، لمحاولة كشف واستجلاء معاني وأسرار ولطائف ودقائق البيان القرآني المعجز الخالد.

ثانياً: مفهوم الإعجاز البياني

يحتاج تعريف الإعجاز البياني، إلى تعريف "الإعجاز" ثم "البيان" لغة واصطلاحاً، ثم تعريف الإعجاز البياني باعتباره مركباً وصفيًا.

1- تعريف الإعجاز

أ- تعريف الإعجاز لغة: "الإعجاز" لفظ مشتق من "العجز"، وقد جاءت على معان عديدة لغوية في المعاجم العربية، منها ما ذكره ابن فارس: "أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. والعجز نقيض الحزم. وَعَجَزَ يَعْجِرُ عَجْزًا فَهُوَ عَاجِزٌ ضَعِيفٌ"⁵. ويقول ابن منظور: "العَجْزُ: نَقِيضُ الْحَزْمِ، يُقَالُ: أَعْجَزَنِي فُلَانٌ أَي فَاتَنِي، وَقَالَ اللَّيْثُ: أَعْجَزَنِي فُلَانٌ إِذَا عَجَزْتَ عَنْ طَلْبِهِ وَإِدْرَاكِهِ. وَيُقَالُ: عَجَزَ يَعْجِرُ عَنِ الْأَمْرِ إِذَا قَصَرَ عَنْهُ"⁶. ومُعْجَزَةُ النَّبِيِّ ﷺ: مَا أَعْجَزَ بِهِ الْخَصْمَ عِنْدَ التَّحْدِي، وَالْهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ⁷. ومنه فالإعجاز نقيض الحزم وهو قوتٌ وسبقٌ وتحدٌ دائم مستمر من جهة السابق، وتثبيط وضعف وقصور وتأخر وعدم القدرة عن لحاق وإدراك السابق.

ب- تعريف الإعجاز اصطلاحاً:

يقول الجرجاني في التعريفات: "الإعجاز: في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق"⁸، وحدد الإعجاز عنده: "أن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته"⁹.

وعرفه مناع القطان بقوله: "إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القرآن- وعجز الأجيال بعدهم"¹⁰، فتعريف القطان أضاف لازم الإعجاز، وهو تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما المعجزة في الاصطلاح فقد عرفها السيوطي بأنها "فعل من أفعال الله، خارق للعادة، مقترنا بدعوى النبوة، موافقا لدعواه عند التحدي، مع عدم المعارضة"¹¹. من هذه التعريفات المتقاربة، نخلص إلى أن "الإعجاز": إظهار صدق دعوى الرسول صلى الله عليه، وأن ما جاء به هو من عند الله، وأن عجز الثقلين من إنس وجن عن الإتيان بمثله ثابت ما بقي الدهر.

2- تعريف البيان

أ- تعريف البيان لغة: البيان مصدر من الفعل "بان"، ويأتي على معان عديدة:

قال الراغب في مفرداته: "البيان الكشف عن الشيء، ويكون بالنطق أو الكتابة أو الإشارة أو بدلالة الحال، وسُمي الكلام بيانا كما في قوله تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: 138]، لكشفه عن المعنى المقصود وإظهاره"¹².

ويقول الراغب: "بان الشيء بيانا: اتضح، فهو بَيِّنٌ، والجمع أبيناء. وكذلك أبان الشيء فهو مُبِينٌ. وَأَبْنَتْهُ أَنَا، أَي أَوْضَحْتُهُ... وَاسْتَبَانَ الشَّيْءُ: وَضَحَ. وَاسْتَبْنَتْهُ أَنَا: عَرَفْتُهُ. وَتَبَيَّنَ الشَّيْءُ: وَضَحَ وَظَهَرَ. وَتَبَيَّنْتُهُ أَنَا... وَالتَّبَيُّنُ: الإيضاح. وَالتَّبْيِينُ أَيضاً: الوضوح"¹³.

من خلال ما سبق نفهم أن "البيان" يدور معناه حول: الكشف والظهور.

ب- تعريف البيان اصطلاحاً:

ومن أوائل البلاغيين ممن اهتم بالبيان الجاحظ (ت255هـ) في بيانه وتبيينه، فقد ذكر معناه فقال: "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو

توظيف الدراسات البيانية في إظهار جوانب من الإعجاز البياني عند عائشة عبد الرحمن
البيان في ذلك الموضوع"¹⁴. واللافت أن الجاحظ أول من نبّه إلى أنواع البيان الخمسة: اللفظ، ثم الإشارة، ثم
العقد، ثم الخط، ثم الحال¹⁵.

وعرّفه الهاشمي في جواهر البلاغة بقوله: "أصولٌ وقواعدٌ، يعرف بها إيرادُ المعنى الواحد، بطرق
يختلف بعضها عن بعض، في وُضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى، ولا بد من اعتبار المطابقة بمقتضى
الحال دائماً"¹⁶.

وتعريف الهاشمي أقرب إلى ما نحن بصدد دراسته، لاشتماله لكل من المقام والمقال، فالمقام (أو
السياق) يشكل محورا أساسيا لدراسة المقال، وهو ما سينكشف لنا من خلال بحثنا.

3- تعريف الإعجاز البياني:

رغم تعدّد مؤلفات الإعجاز البياني، إلا أننا لا نجد لديها تعريفا واضحا يحدّد المقصود، سوى ما عرّفه
به عمّار ساسي، وقبله عائشة عبد الرحمن.

قال عمّار ساسي: "الإعجاز البياني هو إثبات عجز الإنس والجن، على قدرتهم بالتحدي على أن يأتوا
بمثل القرآن، في بيانه، قصد إظهار صدق الرسول في دعواه"¹⁷.

ولأن بحثنا يعنى بجهود عائشة عبد الرحمن في توظيف الدراسات البيانية بصفة عامة، ولتخصصها
في الإعجاز البياني، ووضعها مفهوما له، بصفة خاصة، يكون من الأجدر بنا تتبع ورود مصطلح "الإعجاز
البياني"، في كتابها "الإعجاز البياني في القرآن الكريم ومسائل ابن الأزرقي".

قبل أن نذكر مفهوم الإعجاز البياني عند بنت الشاطي، نُنبّه إلى عدم تعريفها له في المبحث الأول
النتظيري، رغم تقيدها به، ممّا يدلّ على منهجها العملي التطبيقي.

حيث تقول عائشة عبد الرحمن: "الإعجاز البياني للقرآن الكريم يفوت كل محاولة لتحديده، ويجاوز
مدى طاقتنا على مشاركة آفاقه الرحبة واجتلاء أسرارهِ الباهرة"¹⁸، ثم تؤكد في موضع آخر ما ذهبت إليه
بقولها: "وأعود فأقرر أن الإعجاز البياني للقرآن، يفوت كل محاولة لتحديده، ويجاوز كل طاقتنا في لمح
أسرارهِ الباهرة"¹⁹، لتبيّن فيما بعد أنها تفهم إعجاز البيان القرآني على "أنه ما من لفظ فيه أو حرف يمكن
أن يقوم مقامه غيره، بل ما من حركة أو نبرة لا تأخذ مكانها في ذلك البيان المعجز"²⁰.

ف"الإعجاز البياني" كمركب وصفي نعرّفه على أنه: فوت وسبق وتحديّ البيان القرآني لجميع
البيانات الأخرى، إثباتا لمصدره الربّاني، وإقرارا بنبوة محمد ﷺ.

أمّا قصدنا من "إظهار جوانب من الإعجاز البياني"، أن نستقرئ "تعليقات وتحليلات دارسي
الإعجاز البياني للبيان القرآني، وهي شواهد على الإعجاز، تنضاف إلى الأدلة القطعية التي قضت بثبوته،
وهو اجتهادٌ خاضع للصواب والخطأ، وليس ذلك بضائر حقيقة قطعية إعجاز القرآن الكريم"²¹، - وبحثنا
هذا مخصص بدراسة تحليلات وتعليقات عائشة عبد الرحمن-، وهو يهتم بالإعجاز البلاغي، والصوتي،
واللغوي، والصرفي، والنحوي للقرآن الكريم.

ثالثا: التعريف بعائشة عبد الرحمن

هي عائشة محمد عبد الرحمن البنا، ولدت في محافظة دمياط بشمال دلتا مصر، في 7 ذو الحجة
1331هـ، الموافق لـ 6 نوفمبر سنة 1913م²².

ينتهي نسب هذه الأسرة إلى "الحسين بن علي ابن أبي طالب"²³.
تكنى "أم الخير"²⁴، وقد أطلقت الدكتورة عائشة عبد الرحمن على نفسها لقب "بنت الشاطي"؛ وذلك
لشغفها للعب في النهر، والتطلع لجمال الطبيعة، وذلك بحكم نشأتها بجانب شط دمياط. لأمر منها:

- أنه كان ينتمي إلى حياتها الأولى على شواطئ دمياط، والتي ولدت بها²⁵، أي: شاطئ دمياط الذي عشقته في طفولتها²⁶.

- تجنباً لإغصاب والدها، مع التحفظ على صنيعه، إذ يفترض أن تكون ابنته "الكاتبة" مدعاة فخر. نشأت عائشة عبد الرحمن في أسرة وجيهة فاضلة اشتهرت بالدين والتقوى، فوالدها كان مدرساً بمدرسة دمياط الابتدائية الأميرية للبنين "محمد علي عبد الرحمن الحسيني"، لكنه لم يكن من أبناء دمياط، وإنما ولد في قرية "شبرا بخوم". حيث أمضى بها طفولته يحفظ القرآن الكريم ويجوده، لينتقل بعدها إلى العاصمة²⁷. كما أنها عاشت في بيت جدّتها لأمتها مثلت فيهم الجيل الرابع، بيت "إبراهيم الدمهوجي"²⁸، فتلقت التشجيع من جدّها الدمهوجي، وكذلك من أمّها، التي كان لها دور فعال في صقل شخصيتها التعليمية مادياً ومعنوياً²⁹.

أما زوجها فهو أمين الخولي، مؤسس المدرسة البيانية، مصنف كتاب "الاجتهاد في النحو العربي" و"رسالة في الأدب العربي وتاريخه" ومصنفات أخرى، تتلمذت على يده عائشة عبد الرحمن لتكون فيما بعد زوجته الثالثة، ارتبط بها عن رغبة اختلط فيها الإعجاب البشري بالإعجاب الفكري، وأدى بها إلى أن تكون أبرز ممثلي منهج زوجها في التفسير الأدبي أو البياني³⁰. كانت وفاتها يوم الثلاثاء، 11 شعبان 1419 هـ، الموافق لـ 1 ديسمبر 1998 م، بمستشفى هوليبوليس بالقاهرة، عن عمر ناهز السادسة والثمانين.

قدّمت بنت الشاطئ للمكتبة العربية الإسلامية أكثر من خمسين كتاباً، منها:

- مقدّمة في المنهج

- من أسرار العربية في البيان القرآني

- الشخصية الإسلامية، دراسة قرآنية

- القرآن وقضايا الإنسان

- القرآن والتفسير العصري

ثالثاً: التعريف بكتاب (الإعجاز البياني في القرآن ومسائل ابن الأزرقي) وبيان منهج تأليفه

1- وصف الكتاب وبيان أهميته

هو كتاب لغوي بياني، كان ثمرة لاجتهاد عائشة عبد الرحمن في الدراسات البيانية للقرآن الكريم، وهدفها فيه فهم عجز العرب الأصلاء عن الإتيان بسورة من مثل القرآن الكريم. قدّمته في طبعة أولى، ولم تكن الكاتبة قد وقفت على مخطوطات ثلاث لمسائل ابن الأزرقي، بالخزانة الظاهرية بدمشق ودار الكتب المصرية، وقد أتاحت لها هذه المخطوطات فيما بعد، أن تعود على بدء فتدرس المسائل بعد بضع عشرة سنة، فأصدرت طبعة ثانية سنة 2004م. أما موضوعاً تأليفه فهما: الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ودراسة نحو مانتني مسألة في كلمات قرآنية، سأل فيها نافع بن الأزرق عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، والذي يعنينا هنا الموضوع الأول، ويعتبر من الكتب المهمّة في الإعجاز البياني لما ذكرناه، فضلاً عن أسباب أخرى:

أولها: أنّ عائشة عبد الرحمن من أوائل من أُلّف في التفسير البياني، ولها السبق في تطبيق المنهج البياني أو الأدبي لأمين الخولي، ومن ثمّ توجهها نحو استجلاء أسرار البيان القرآني.

وثانيها: أنّ الكتاب يزخر بجوانب لغوية وأدبية وبلاغية، من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وأشعار العرب القدماء.

توظيف الدراسات البيانية في إظهار جوانب من الإعجاز البياني عند عائشة عبد الرحمن

ثالثها: أنّ عائشة عبد الرحمن وقفت من الكتاب موقف الأخذ النّاقذ، فلم تُسلم كل التسليم بما اجتهد فيه العلماء، ذلك أنّ إظهار الإعجاز البياني شأنه شأن التفاسير بالرأي، يأخذ عن السابقين، ويعمد إلى لغة القرآن فيفعلها ويستخرج منها لبّ البيان، ويكون في كل أمره معتبرا بالسياق، ليخلص ويهتدي إلى سر بياني إعجازي، بتوفيق من الله عز وجل، كلُّ حسب حسّه اللغوي، وبذله في سبيل تحصيل دلالة لا تتوضّح إلا بإمعان نظر وتدبّر متقصّي، وهو ما لا يحسنه كل دارس للقرآن.

2- منهج عائشة عبد الرحمن في كتابها "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق"

اتبعت عائشة عبد الرحمن المنهج الاستقرائي في كتابها هذا، وفي جميع دراساتها القرآنية، وهو يرجع أصالة إلى شيخها أمين الخولي، إذ تصف لنا ضوابطه الصارمة، عندما استقتحت كتابها بالحديث عن التوجيه والقيادة التي تلقّتها من أستاذها فنقول: "ويأخذني بضوابط منهجه الدقيق الصارم، الذي لا يجيز لنا أن نفسر كلمة من كلمات الله تعالى، دون استقراء لمواضع ورودها، بمختلف صيغها في الكتاب المحكم، ولا أن نتناول موضوعا قرآنيا، أو ظاهرة من ظواهره الأسلوبية، دون استيعاب لنظائرها، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن كله"³¹، فالمنهج البياني الاستقرائي عند عائشة عبد الرحمن مبني على ضوابط منهجية:

أولها: استقراء النظائر: وذلك بجمع الآيات في الموضوع القرآني الواحد، أو بجمع آيات تختص بظاهرة من ظواهره الأسلوبية، ثم تدبرها وتفسرها.

ثانيها: دراسة النظائر: من خلال:

1- **دراسة حول القرآن:** أو ما يسمى المقام أو السياق، بترتيب آيات الموضوع الواحد ترتيبا زمنيا حسب تاريخ نزولها، لمعرفة ظروف الزمان والمكان، كما يستأنس بالمرويات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لا يست نزول الآية، على اعتبار ما تكون العبرة فيه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية، وأن السبب فيها ليس بمعنى الحكمية أو العلية التي لولاها ما نزلت الآية³².

2- **دراسة في القرآن:** تعرض عائشة عبد الرحمن لمحاولة منهجية جادة، لفهم أسرار البيان القرآن وفقا لتقسيمات ثلاثة:

أ- **فهم فواتح السور وأسرار الحروف:** اتّجهت الكاتبة إلى استقراء كامل لجميع السور المفتحة بالحروف المقطّعة، مرتبة على حسب النزول. محاولة في ذلك الاهتداء إلى ملحظ مشترك في هذه السور، متديرة سياقها ومقامها الذي اختصّها بهذه الفواتح، مرتبطا بسير الدعوة عصر المبعث، ونزول آيات القرآن؛ فتناولت الفواتح مع آيات الجدل والاحتجاج، ثم مع آيات التحدي والمعجزة، وأخيرا بإنهاء الفواتح بعد حسم الجدل في المعجزة.

واستكمالا لاستقراء حروف البيان الأعلى، تواصل اجتهادها بتقديم بعض الشواهد من حروف قرآنية، مفردة أو مركبة، حاول اللغويون والبلاغيون في تأويلها، أن يعدلوا بها على وجه التقدير، عن الوجه الذي جاءت به، لكي تلبّي مقتضيات الصنعة الإعرابية وتخضع لقواعد المنطق البلاغي المدرسي، إلا أنها بقيت تتحدى كل محاولة بتغيير أو تقدير لحذف أو زيادة³³.

ب- **فهم سر الكلمة:** أولت عائشة عبد الرحمن اللفظ القرآني أهمية كبرى، ولنا أن نقول أنها كانت: ركاز دراساتها البيانية وسوددها.

ولمّا كان للكلمة وقعها وأثرها في النفوس والألباب، ولما لها من مكانة سامية رفيعة في الدراسات القرآنية البيانية وفي إظهار الإعجاز، نجد تركيز عائشة عبد الرحمن عليها، وفيها تقول: "ومناطق البلاغة

في النظم القرآني، عند الخطابي: اللفظ في مكانه إذا أبدل فسد معناه أو ضاع الرونق الذي يكون منه سقوط البلاغة، وهذا الملحظ الدقيق، هو المحور الذي أدار عليه عبد القاهر مذهبه في الإعجاز بالنظم، وهو أيضا مما يلتقي - إلى حد ما- مع جوهر فكرتنا في الإعجاز البياني، ثم نختلف بعد ذلك في تحقيق مغزاه ولمح أبعاده وطريق الاحتجاج له³⁴.

ومن طرق احتجاجها للكلمة القرآنية، وأنه لا تقوم مقامها كلمة سواها: إنكار وجود الترادف في العربية وفي القرآن بالأخص، مسترشدة بالبيان القرآني فيجب "أن يكون له القول الفصل فيما اختلفوا فيه - أي العلماء-، حين يهدي إلى سر الكلمة لا تقوم مقامها كلمة سواها من الألفاظ المقول بترادفها، والأمر كذلك في ألفاظ القرآن: ما من لفظ فيه يمكن أن يقوم غيره مقامه، وذلك ما أدركه العرب الخُصّ الفصحاء الذين نزل فيهم القرآن"³⁵.

وتتلخّص خطوات استقرارها لمفردات القرآن في دراستها، من ناحيتين؛ إحداهما وتتمثل في دراسة معناها اللغوي، وثانيتها دراسة معناها الاستعمالي الخصوصي في القرآن كلّه، والذي يضيف لمحات إعجازية للبيان القرآني على اللغة العربية.

ج- فهم سر التعبير: وهو من أواخر اللبّات إن لم نقل آخرها في دراسة البيان القرآني المعجز، وفيه درست عائشة عبد الرحمن بعضا من مظاهر الإعجاز اللافتة، كالاستغناء عن الفاعل بحذفه، البدء بواو القسم، السجع ورعاية الفواصل، والنفي مع القسم "لا أقسم".

ولذا فقد تميّزت عائشة عبد الرحمن بشخصية علمية، تستشف من جهود سابقها، وتتأمل وتتطلع بكل ثقة فيمن بعدها قائلة: "وهذا هو مجال المحاولة المتواضعة التي أقدمها اليوم في فهم إعجاز البيان القرآني، لا أجدد بها جهود السلف الصالح في خدمة القرآن الكريم، تفسيراً وإعراباً وبلاغة وإعجازاً، وقد زوّدتني بمعالِم هادية على الطريق الذي سرت فيه من حيث انتهت خطواتهم. واثقة أن الأجيال بعدنا حين تبدأ من حيث انتهى بنا الجهد..."³⁶.

المحور التطبيقي: أثر توظيف الدراسات البيانية في إظهار جوانب من الإعجاز البياني

يدرس هذا الجانب الأثر العملي الذي تقف عليه عند عائشة عبد الرحمن، نتيجة توظيفها الدراسات البيانية لاستجلاء أسرار البيان القرآني، حيث تتضح معالم كل من الدرسين الأدبي، والبلاغي عند عائشة عبد الرحمن، من خلال درسها للنص القرآني لغويا، وهو ما ركزنا عليه في هذا المحور، فكان لنا من السعي إلى بلوغ مبتغانا إلا أن اقتصرنا على بعض دراسات عائشة عبد الرحمن التطبيقية، لما لا يتسع له المقام من العرض والتحليل.

أولاً: في التماس سر الحرف

لدراسات البيانية أثر بيّن في معرفة سر إعجاز الحرف القرآني، لذلك وجب على المفسر والباحث المتدبّر في كتاب الله الملتمس لأسرار إعجازه أن يتحصّن بهذه العلوم.

ولذا فقد حرصت عائشة عبد الرحمن على التزوّد بكل ما يُعينها على خدمة كتاب الله عز وجل، ودراسة الإعجاز البياني، فكان لها نصيب وافر في الاطلاع على القراءات القرآنية، لما لها من سموّ مكانة في القراءة الأدبية للنص القرآني، إذ تقول: "قصارى ما اطمأننت إليه في هذه المحاولة لفهم إعجاز البيان القرآني، هو أنه ما من لفظ فيه أو حرف يمكن أن يقوم مقامه غيره، بل ما من حركة أو نبرة لا تأخذ مكانها في ذلك البيان المعجز"³⁷.

ففي أول موضوعاتها المتحدثة عن رأيها في الإعجاز البياني، عرضت عائشة عبد الرحمن كتباً عنيت بدراسة الحروف المقطعة، التي افتتحت بها ست وعشرون سورة مكية، وثلاث من السور المدنية، ومن هذه الكتب مصنف "الخواطر السوانح في أسرار الفواتح" لابن أبي الإصبع، وكتاب "البرهان في أسرار الفواتح والسور" للزرکشي³⁸.

أما فيما يخص³⁹ دراستها للجانب الصوتي تذكر الكاتبة تنبُّه السلف إلى مجموع هذه الحروف، بغير المكرر منها، أربعة عشر حرفاً، هي نصف الحروف العربية، فيها خمسة مهموسة، وفيها نصف الحروف المجهورة، وفيها ثلاثة من حروف الحلق، هي نصف الحروف الحلقية، وفيها نصف الحروف غير الحلقية، وفيها نصف الحروف الشديدة، ونصف الحروف الرخوة، وفيها حرفان من الأحرف الأربعة المطبقة، ونصف الحروف الأخرى المنفتحة غير المطبقة، وفيها نصف الحروف المستعلية، ونصف الحروف المنخفضة.

ثم تتابع⁴⁰ إيراد أقوال المفسرين في هذه الحروف، فمنهم من قال أنها اسم الله الأعظم، أو الأسماء الحسنى، وقال آخرون أنها أسماء للسور، وذهب قوم إلى أنها أصوات للتنبيه وغيرها من الآراء، لتنتهي إلى تأييد ما قرره الزمخشري وعدد من أئمة المحققين، بأن الحروف المقطعة من فواتح السور قصد بها التحدي، وذلك لأنه يأتي ذكر الكتاب أو القرآن والتنزيل في مستهل السور، مثل قول الله عز وجل: ﴿صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: 1]، وقد تخلّفت سور مريم والعنكبوت والروم، حيث جاءت مُفتتحة بالحروف المقطعة، لا يتلوها ذكر الكتاب أو القرآن أو التنزيل، ولكن ذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه.

ثم تُبدي عائشة عبد الرحمن إعجابها بسرّ الحرف، فتقول عن حروف فواتح السور: "حروف صماء، قد تتألف منها أصوات عجماء لا تُبين ولا تنطق. ومنها تصاغ الكلمات فيحقق بها الإنسان آية نطقه وبيانه، ويحقق آية القراءة والعلم... وبها نزلت آيات المعجزة البيانية، فتجلى سر الكلمة في البيان الأعلى الذي أعيا العرب أن يأتوا بسورة من مثله..."⁴¹.

أما الموضوع الثاني، فخصّصته لدراسة سر الحرف، ومن أمثلة ذلك حديثها عن الزوائد، حيث أنكرت الزوائد في القرآن الكريم، ومثلت بالباء في خبر (ليس) و(ما) التي قال النحاة والمفسرون بأنها زائدة⁴²، فلفتت إلى مقصد بلاغي بياني مهم، يذكرها أنّ معنى الزيادة عندهم بأنها التأكيد، وأن الصنعة الإعرابية جرت على قصر عملها على اللفظ دون المعنى.

فتذكر إحصاءها لمواضع مجئ الباء في خبر (ليس) الصريح المفرد، فكانت في ثلاثة وعشرين آية، في مقابل ثلاث آيات، جاء فيها خبر ليس غير مقترن بالباء، وهذه الآيات هي آية النساء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ أَسْأَلُ مَوْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 94]، وفي هود ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: 8]، وفي الرعد ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْأَلُ مَرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 43]، ثم تتدبّر سياقها وتخلص إلى عدم اقتران الباء بخبر ليس في المواضع، لأن المقام مستغن عن تقرير النفي كما في آية هود.

وتنظر فيما بعد إلى الآيات ذات الجمل الخبرية التي يقترن فيها خبر (ما وليس) بالباء، من خلال استقراء أسلوب ومقام كل آية، لتهتدي إلى ملاحظ بيانية تعطى سر هذه الباء، فهي تقيدها هنا تقرير النفي بالجحد والإنكار، إذ تشير إلى أن ما أغنى عن الباء في خبر (ما) في آيتي المجادلة ويوسف، التقرير المستفاد من القصر بعدهما: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾

[المجادلة: 2]، «مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ» [يوسف: 31]، ثم تنتقل بعد هذا إلى إيضاح سر ورود الفعل (كان) بعد النفي، وفي هذه لا يقترن الخبر بالباء؛ ذلك أن النفي بهذا الأسلوب يفيد الجحد. أما الجمل الاستفهامية فيطرد فيها اقتران خبر ليس بالباء، لا يتخلف، وبها ينتقض ويخرج النفي إلى تقرير بات وإثبات حاسم، لا إلى أي وجه آخر من سائر الوجوه التي يعرفها البلاغيون في خروج الاستفهام عن معناه الأول في أصل اللغة، فيتعين حينئذ أثر الباء في الدلالة البيانية، كقولك: "أليس الصبح قريباً"، والإجابة تكون (بلى)، لما فيه من تقرير وإثبات، لا لمعان يحتملها الاستفهام من توقع أو انتظار... وقد بذلت عائشة عبد الرحمن جهداً كذلك في إبراز⁴³ ترابط مباحث الدراسات البيانية، وما لها من فضل على إظهار سر الحرف، في لآءات ثلاثة قدرها محذوفة وهي: لا "تفتأ"، ولا "يطيقونه"، ولا "يستأذئك"، ثم استقرت مواضع حروف أولوها بحروف غيرها، وكان لفضل عباس ملاحظات وتعليقات على آراء عائشة عبد الرحمن لا نجد ضرورة لذكرها في هذا المقام⁴⁴.

ثانياً: في الاهتداء إلى سر الكلمة

كان لاهتمام عائشة عبد الرحمن بالجانب الصوتي يليه الجانب المعجمي، اهتمام بجانبي الصرف والنحو، وصولاً إلى دقة بلاغة وبيان الكلام الرباني، وقد مثلت لذلك بدراسة قضية ترادف بعض الكلمات القرآنية، منها:

1- **الرؤيا والحلم:** تدرس⁴⁵ عائشة عبد الرحمن "الرؤيا والحلم" معجمياً فتورد تفسير المعاجم للحلم بالرؤيا، وتتساءل إذا كان العرب الخُص في عصر المبعث، بحيث يضعون أحد اللفظين بدلاً من الآخر، حين تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة من مثله، فيقال مثلاً: أفتوني في حلمي إن كنتم للحلم تعبرون؟ ثم تلفت إلى جانب بلاغي بياني راقٍ مفاده أن: ذلك مالا يقوله عربي يجد حساً لغته، سليقة وفطرة. وتستقرئ مواضع ورود اللفظين في القرآن بدلالة السياق، وذكرت أن لفظ "الأحلام" جاء ثلاث مرات أحدها في سورة الأنبياء: «بَلْ قَالُوا أَضْغَاتُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ» [الأنبياء: 5] والثانية والثالثة في يوسف «قَالُوا أَضْغَاتُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ» [يوسف: 44].

وتذكر الكاتبة المقصود بـ "الأحلام" هنا الأضغاث المهوشة⁴⁶ والهواجس المختلطة، ثم تعرّج على الجانب صرفي في لفظة "الأحلام" فنقول أنها أنت في المواضع الثلاثة بصيغة الجمع، دلالة على الخلط والتهوُّس لا يتميّز فيه حلم من آخر.

أما الرؤيا فأحصت مواضع مجيئها في القرآن الكريم، فكانت سبع مرات، كلها في الرؤيا الصادقة، وهو لا يستعملها إلا بصيغة المفرد، دلالة على التميّز والوضوح والصفاء، ومن هذه الآيات قوله تعالى: «وَنُذِئِبُهُ أَنْ يَأْتِرَ هَيْمٌ (104) قَدْ صَدَّقَتِ الرُّعْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105)» [الصافات: 104-105].

2- **أنس وأبصر:** وفقاً لمنهجها البياني الأصيل، تسير عائشة عبد الرحمن نحو المعاجم تستفسر عن معنى "أنس" لتجده⁴⁷ الإبصار والسمع، وهو ما لا تستسيغه الأدبية المتأدبة مع كلام الله عز وجل، لتستقرئ الاستعمال القرآني، مستأنسة هي الأخرى بحس العربية المرهف فيه.

تورد⁴⁸ عائشة عبد الرحمن المواضع الخمسة التي أتى فيها الفعل "أنس" بصيغة الفعل الماضي، منها قوله تعالى: «وَأَبْتَلُوا الْيَتِيمَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النُّكَاحَ فَإِنَّ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ» [النساء: 6]، فالإيناس هنا بدلالة السياق، ليس مجرد الإبصار، ولكنّه الطمأنينة المؤنسة.

كما تسترشد بالدرس الصرفي أيضا في استقراء مادة "الاستئناس"، حال مجيئها بصيغة الفعل المضارع في آية النور: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: 27]، حيث تقف بنت الشاطي موقف الناقد المستدل، ممن قالوا بمجرد الاستئذان أنه الاستئناس، بل هو حس الإيناس لأهل البيت قبل دخوله.

فعائشة بنت الشاطي ترفض قضية الترادف في العربية، كما تبين من خلال استقرارها لكلمات يُظن بترادفها، موظفة في ذلك الدرس البياني الممنهج، بحرص وعناية شديدين، ومستنبطة خصوصيات دلالية بلاغية للفظة القرآنية في موضعها، تسمو بها نحو الإعجاز، وفي ختامها لهذه القضية، تقول بكل تواضع وتهيب: "وقد ينبغي لي أن أعترف هنا بقصوري عن لمح فروق الدلالة لألفاظ قرآنية تبدو مترادفة، فليس لي إلا أن أقرّ بالعجز والجهل"49، فكان شأنها ختاماً شأن علمائنا الأخيار.

ثالثاً: في استجلاء سر التعبير

تستهل الباحثة هذا الموضوع بمقولة اشتهرت بقولها والسعي لتطبيقها: "قد نكون عرفنا البلاغة علماً وتفنناها صناعة ومنطقاً، غير أننا ما نزال في أشد الحاجة إلى أن نجتليها ذوقاً أصيلاً وجسماً مرهفاً في آيات الفصاحة العليا والبيان المعجز"50، فعائشة عبد الرحمن لا تحتكم إلى البيان الأعلى في دراسة حروفه ومفرداته فحسب، بل تحتكم إليه كذلك في دراسة تراكيبه، وفقاً للنظم القرآني، فهي تعرض قواعد النحويين والبلاغيين على نصوص القرآن الكريم لا العكس.

1- حذف الفاعل: أو كما عنونت له عائشة بنت الشاطي "الاستغناء عن الفاعل"، حيث نبّهت51 إلى توزّع هذه الظاهرة الأسلوبية ما بين علم الصرف؛ الذي يُقرأ فيه كيفية بناء الفعل للمجهول وصيغ المطاوعة، وما بين علم النحو؛ الذي يُقرأ فيه أحكام نائب الفاعل.

أمّا سرّ استغناء العربية عن الفاعل، فتسندة إلى غير فاعله، بالبناء للمجهول أو المطاوعة أو الإسناد المجازي، فهو ما حاولت بنت الشاطي أن تجتليه وتجمع شتاتة من خلال البيان القرآني، مع الأخذ باعتبار أطراد هذه الظاهرة في موقف البعث والقيامة.

تذكر الكاتبة قول البلاغيين بأنّ الفاعل يُحذف للعلم أو الجهل به، أو الخوف منه أو عليه، وتخلص هي إلى الأسرار البيانية للاستغناء عن الفاعل:

- فبناء الفعل للمجهول، يكون لتركيز الاهتمام على الحدث، بصرف النظر عن المحدث، في مثل قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: 99].

- ولا يذكر الفاعل مطاوعة، لبيبين أنّ الحدث يتم تلقائياً، أو على وجه التسخير، وكأنّه ليس في حاجة إلى فاعل، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿أَقْرَبَتْ سَاعَةً وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1].

- والإسناد المجازي يعطي المسند إليه فاعلية محققة، يستغنى بها عن ذكر الفاعل الأصلي، مثل قوله تعالى: ﴿فَأَرْقَبَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: 10].

وما ذكرته الكاتبة أشار إليه عبد القاهر رحمه الله ثم ذكره من بعد من المفسرين وعلماء البلاغة52، لكن عائشة عبد الرحمن – كما أوردنا- سعت إلى جمع متفرقات مباحث اللغة، من نحو وصرف وصولاً إلى دلالة بلاغية بيانية معجزة.

2- السجع ورعاية الفواصل: عند ذكرنا للسجع في الفواصل القرآنية نلتفت مباشرة إلى الجانب

الصوتي، وهو ما كان محلّ دراسة عائشة عبد الرحمن في هذا الجزء، لكنها تُبحر مع هذه الفواصل كما عهدناها، مستقرئة غير مناسبة وراء الفواصل كثيراً.

تفصل الكاتبة في إيراد ومناقشة آراء العلماء السابقين في السجع، وهي تؤثر المضي على القول بالسجع في القرآن، وأن تسمى رؤوس الآي بالفواصل، سيرا على نهج العلماء.

ومن بين الآيات التي تناولتها عائشة عبد الرحمن بالدرس البياني، آيات من سورة الزلزلة،⁵³ في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5)﴾ [الزلزلة: 2-5]، فتبتدي بإيراد رأي المفسرين والبلاغيين في سبب تعدية الفعل "أوحى" باللام حيث قالوا: وعدى أوحى باللام، وإن كان المشهور تعديتها بـ "إلى"، لمراعاة الفواصل، ولكنها ترد هذا القول بعد استقرارها لمواضع فعل الإيحاء في القرآن كله، بأنه يتعدى بـ "إلى" إلا حين يكون الموحى إليه من الأحياء، وأطرد ذلك في سبع وستون موضعا.

وأما إذا كان الموحى إليه جمادا، ففعل الإيحاء يتعدى باللام (كآية الزلزلة) ودلالاتها الإيحاء المباشر على وجه التسخير، أو بحرف "في"، كآية فصلت: ﴿فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: 12]، ودلالة "في" هنا البث والملابسة، وأما الإيحاء بـ "إلى" إذا كان الموحى إليه من الأنبياء، فدلالته مخصصة في المصطلح الديني للوحي، والإيحاء إلى غير الأنبياء من بشر أو حيوان فمعناه الإلهام. وخلصت إلى مكنى السر البلاغي في إعجاز الفاصلة في آية الزلزلة، ذلك بأن التعدية باللام هنا متعينة، لا عدولا عن: أوحى إليها، قصد مراعاة الفواصل؛ لأن الموحى إليه جماد، والقرآن لا يُعدي الفعل بحرف "إلى" إلا حين يكون الموحى إليه من الأحياء.

أظهرت عائشة عبد الرحمن دقة وإحكام الفواصل القرآنية، وختمت ببيان مقتضى الإعجاز، فتقول: "مقتضى الإعجاز أنه ما من فاصلة قرآنية لا يقتضي لفظها في سياقه دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه، قد تندبره فتهتدي إلى سره البياني، وقد يغيب عنا فنقر بالقصور عن إدراكه"⁵⁴.

خاتمة:

من الأجدر بنا أن نشير في الختام إلى أننا لم نتعرض لكل القضايا المتعلقة بالدراسات البيانية في كتاب "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق" لعائشة عبد الرحمن، ولكن عملنا على أن تكون أمثلة التطبيقات الممنهجة التي ذكرناها مفاتيح لا يُستغنى عنها في إظهار جوانب من الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وقد تمخض عن البحث جملة من النتائج أبرزها:

- 1- نحسب أن محاولة عائشة عبد الرحمن جادة في تجاوز الدراسات البيانية للقرآن الكريم الباحثة في "الدلالة الصوتية للحروف، وفي المعنى المعجمي للمفردات، ودراسة الصنعة الإعرابية، والوقوف عند الصور البلاغية" إلى دراسة دقة التراكيب التعبيرية، سعيا إلى التماس أسرار الإعجاز القرآني.
 - 2- إظهار الإعجاز البياني عند عائشة عبد الرحمن يتجلي في استقراء البيان القرآني بالاستعانة باليتي التحليل والتعليل، وهو يهتم بالإعجاز البلاغي، والصوتي، واللغوي، والصرفي، والنحوي للقرآن الكريم.
 - 3- من أبرز ما تميّز به عمل المؤلفة في نظر الباحثين، أصالته وشموليته في توظيف الدراسات البيانية للاهتمام إلى أسرار مكونات النص القرآني المعجز كالتالي:
- استقرأت الحروف المقطعة في أوائل بعض السور صوتيا فخلصت إلى أنها أصوات عجماء، لا تبيين ولا تنطق، لكنها معجزة بيانية، قصد بها التحدي، لمجئ ذكر الكتاب أو القرآن لفظا أو انتصارا له معنى وبيان إعجازه.
 - تنفي عائشة عبد الرحمن زيادة بعض الحروف، وتنفي إلغاءها وتناوبها.

توظيف الدراسات البيانية في إظهار جوانب من الإعجاز البياني عند عائشة عبد الرحمن

- قادها درس اللفظ واستقرائه لغويا إلى رفض قضية الترادف في القرآن الكريم، فكل لفظ له سره البياني ومعناه الاستعمالي في سياقه.
 - فهم سر التعبير: بدراسة وفقه الأساليب التركيبية في النظم القرآني، والمقارنة بينها وبين الاحتمالات التعبيرية، كدراسة الحذف والذكر، الفاصلة القرآنية، القسم وغيرها.
 - 4- اعتمادها منهجا في توظيف الدراسات البيانية في جميع الأمثلة التي ساقتها، بالتركيز على الدرس اللغوي، وبالربط بين السياقات والألفاظ ومعانيها وفقا للنظم القرآني، لكنها لم تأخذ بجميع ما أقره علماء اللغة من قواعد وأصول للغة العربية، بل استندت إلى النص القرآني نفسه، وحكمت عقلها وقلبها في تقرير ما تتوصل إليه من نتائج مسلمة غالبا، أما ما لم تستسغه فإنها تنبذه.
 - 5- أغلب المسائل البيانية التي درستها الكاتبة لافتة؛ غير جارية على سنن البلاغة، مما يؤهلها أن تكون إحدى شواهد الإعجاز البياني.
 - 6- نحسب أن عائشة عبد الرحمن وفقت إلى حد ما في توظيف الدراسات البيانية خدمة للإعجاز البياني في مصنفها محل الدراسة.
- هذا والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم برواية حفص

ثانيا: الكتب

- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 1435هـ-2014م.
- أميرة خواسك، رائدات الأدب النسوي في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1999م.
- الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكتاني بالولاء الليثي (ت: 255هـ)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دط، 1423هـ.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي بن الزين الشريف (ت: 816هـ)، كتاب التعريفات، تحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ-1983م.
- جوزيف زيدان، مصادر الأدب النسوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، دت.
- الجوهري، أبو نصر، إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ-1987م.
- حسين نصار، أمين الخولي، المجلس الأعلى للثقافة، دط، 1996م.
- عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، تحقق: إحسان عباس، دار الغرب، بيروت، ط2، 1982م.
- خليل أحمد خليل، موسوعة العرب المبدعين في القرن العشرين، دار الفارس، عمان، ط1، 2001م.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم بن محمد، المفردات في غريب القرآن (ت: 502هـ)، تحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ط1، 1412هـ.
- عبد الرزاق بن حسن البيطار الميداني، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقق: محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط2، 1413هـ-1993م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم (ت: 911هـ)، تحقق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1424هـ-2004م.
- عائشة محمد علي عبد الرحمن، بنت الشاطي، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، ط3، 2004م.

- عائشة محمد علي عبد الرحمن، بنت الشاطي، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط7، دت.
- عائشة محمد علي عبد الرحمن، بنت الشاطي، على الجسر بين الحياة والموت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1999م.
- عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم دراسة نظرية للإعجاز البياني في الآيات المحكمات، دار المعارف، ط1، 2003م.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت: 170هـ)، كتاب العين، تحقق: مهدي المخزومي-إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ط1، دت.
- فضل حسن عباس، وسناء فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، دار النفائس، عمان، ط8، 1436هـ-2015م.
- الفيروز آبادي، أبو طاهر، محمد بن يعقوب مجد الدين (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ-2005م.
- محي الدين الطعمي، النور الأبهر في طبقات شيوخ الجامع الأزهر، دار الجبل، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م.
- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، دت.
- ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- لمعي المطيعي، موسوعة نساء ورجال من مصر، دار الشروق، القاهرة، ط1 1423هـ-2003م.

ثالثاً: المجالات

- منصور محمود أبوزينة، مقال: ضوابط دراسة الإعجاز البياني في القرآن محاولة تأصيلية، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، العدد 2، المجلد 39، الأردن، السنة 2016م.
- سعاد بولشفار، مقال: التكامل بين فلسفة التفسير القرآني والدراسات البيانية - آية (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أنموذجاً، مجلة الدراسات الإسلامية، الجزائر، العدد 01، المجلد 08، أبريل 2020م.
- اليزيد بلعمش، مقال: الدراسة البيانية للقرآن الكريم عند فاضل السامرائي سمات ومرتكزات، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، العدد 21، المجلد 11، جوان 2017م.

رابعاً: المواقع الإلكترونية

- نقلا عن فاضل السامرائي، مقدمة حول الدراسة البيانية للقرآن الكريم، التنبية والدقة في اختيار اللفظة، نشر بتاريخ: 18 سبتمبر 2013م، نُظِرَ يوم 16 سبتمبر 2020م، الساعة 7:13.

<http://islamiyyat.3abber.com/post/187207>

الهوامش:

- 1- نقلا عن فاضل السامرائي، مقدمة حول الدراسة البيانية للقرآن الكريم، التنبية والدقة في اختيار اللفظة، <http://islamiyyat.3abber.com/post/187207>، 18 سبتمبر 2013م، نُظِرَ يوم 16 سبتمبر 2020م، الساعة 7:13.
- 2- سعاد بولشفار، مقال: التكامل بين فلسفة التفسير القرآني والدراسات البيانية - آية (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أنموذجاً، مجلة الدراسات الإسلامية، الجزائر، العدد 01، المجلد 08، أبريل 2020م، ص70.
- 3- ينظر: اليزيد بلعمش، مقال: الدراسة البيانية للقرآن الكريم عند فاضل السامرائي سمات ومرتكزات، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، العدد 21، المجلد 11، جوان 2017م، ص180.
- 4- سعاد بولشفار، مقال: التكامل بين فلسفة التفسير القرآني والدراسات البيانية، ص70.
- 5- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت: 170هـ)، كتاب العين، تحقق: مهدي المخزومي-إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ط1، دت، ج1، ص215.
- 6- ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج5، ص370.

- 7- الفيروزآبادي، أبو طاهر، محمد بن يعقوب مجد الدين (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ-2005م، ج1، ص516.
- 8- الجرجاني، علي بن محمد بن علي بن الزين الشريف (ت: 816هـ)، كتاب التعريفات، تحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ-1983م، ص31.
- 9- المرجع نفسه، ص83.
- 10- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، دت، ص250.
- 11- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم (ت: 911هـ)، تحقق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1424هـ-2004م، ص74.
- 12- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم بن محمد، المفردات في غريب القرآن (ت: 502هـ)، تحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ط1، 1412هـ، ص157-158.
- 13- الجوهري، أبو نصر، إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ-1987م، ج5، ص2083.
- 14- الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء اللبثي (ت: 255هـ)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دط، 1423هـ، ج1، ص82.
- 15- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 16- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 1435هـ-2014م، ص217.
- 17- عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم دراسة نظرية للإعجاز البياني في الآيات المحكمات، دار المعارف، ط1، 2003م، ص84.
- 18- عائشة محمد علي عبد الرحمن، بنت الشاطي، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، ط3، 2004م، ص140.
- 19- المصدر نفسه، ص286.
- 20- المصدر نفسه، ص286.
- 21- ينظر: منصور محمود أبوزينة، مقال: ضوابط دراسة الإعجاز البياني في القرآن محاولة تأصيلية، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، العدد 2، المجلد 39، الأردن، السنة 2016م، ص444.
- 22- ينظر: عائشة محمد علي عبد الرحمن، بنت الشاطي، على الجسر بين الحياة والموت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1999م، ص122، وينظر: خليل أحمد خليل، موسوعة العرب المبدعين في القرن العشرين، دار الفارس، عمان، ط1، 2001م، ص753.
- 23- ينظر: لمعي المطيعي، موسوعة نساء ورجال من مصر، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1423هـ-2003م، ص114.
- 24- عائشة عبد الرحمن، على الجسر، ص24.
- 25- المصدر نفسه، ص80.
- 26- أميرة خواسك، رائدات الأدب النسوي في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1999م، ص115، 122.
- جوزيف زيدان، مصادر الأدب النسوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، دت، ص463.
- 27- ينظر: عائشة عبد الرحمن، على الجسر، ص22.
- 28- ينظر ترجمته: عبد الرزاق بن حسن البيطار الميداني، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقق: محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط2، 1413هـ-1993م، ص305. وينظر: عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، تحقق: إحسان عباس، دار الغرب، بيروت، ط2، 1982م، ج1، ص405. وينظر: محي الدين الطعمي، النور الأبهري في طبقات شيوخ الجامع الأزهر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م، ص20.
- 29- ينظر: عائشة عبد الرحمن، على الجسر، ص45-48.
- 30- ينظر: حسين نصار، أمين الخولي، المجلس الأعلى للثقافة، دط، 1996م، ص16.

- 31- المصدر نفسه، ص11.
- 32- ينظر، عائشة محمد علي عبد الرحمن، بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط7، دت، ج1، ص11.
- 33- ينظر: عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، ص128.
- 34- المصدر نفسه، ص101.
- 35- المصدر نفسه، ص210.
- 36- عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، ص12.
- 37- المصدر نفسه، ص286.
- 38- ينظر: المصدر نفسه، ص141.
- 39- ينظر: المصدر نفسه، ص141-142.
- 40- ينظر: المصدر نفسه، ص142-160.
- 41- المصدر نفسه، ص180.
- 42- ينظر: المصدر نفسه، ص181-191.
- 43- ينظر: المصدر نفسه، ص192-208.
- 44- ينظر: فضل حسن عباس، وسناء فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، دار النفائس، عمان، ط8، 1436هـ-2015م، ص132-134.
- 45- ينظر: عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، ص215-217.
- 46- المهوشة: من الفعل هوش: هَوَّشْتُ الشَّيْءَ، أي: خلطته، وَهَوَّشَ القَوْمُ: اختلطوا. فالأضغاث المهوشة هي الأضغاث المختلطة. ينظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج4، ص67.
- 47- ينظر: عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، ص217.
- 48- ينظر: المصدر نفسه، ص217-218.
- 49- المصدر نفسه، ص238.
- 50- المصدر نفسه، ص239.
- 51- ينظر: المصدر نفسه، ص240.
- 52- فضل حسن عباس، وسناء فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص135.
- 53- ينظر: عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، ص277.
- 54- ينظر: المصدر نفسه، ص278.